﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: 81]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مجيءُ الحقِّ وزَهوقُ الباطلِ مِنَ السُّلطانِ النَّصيرِ

بعد أنْ ذكرَ في الآية السابقة تعليمَه لنبيِّه ﷺ سؤالَ مواقعِ الحقِّ ومقامِ الصِّدق، والسُّلطان النَّصير؛ بَشَّره في هذه الآية بتحقُّق مُسوِّغاتِ إجابة سُؤْلِه، بمجيء الحقِّ وزهوق الباطل، بما يُفْسِحُ لتحقيق سلطانِه ونصرِه وتمكينِه، أي: "لمّا سأل اللهَ النُّصرةَ؛ بيَّنَ اللهُ له أنَّه أجاب دعاءَه، فقال: وقل..."[1]، فـ"أعقبَ تلقينَه الدُّعاءَ بسَدادِ أعمالِه، وتأييدِه فيها، بأنْ لقَّنَه هذا الإعلانَ المُنْبِئَ بحُصولِ إجابةِ الدَّعوةِ المُلْهَمةِ، بإبرازِ وعْدِه بظُهورِ أمرِه في صورةِ الخبَرِ عن شَيءٍ مضَى"[2].

في الآيةِ دفعُ توهُّمِ عدمِ استجابةِ الدُّعاءِ

ولمّا كان الدُّعاءُ قد يتطرَّق إليه احتمالُ عدم الإجابة؛ قال مبشِّرًا له بأنَّه ليس بين دعائه وبين استجابتِه إلّا قولُه، ومحقِّقًا لتلك البشرى بالأمر بأن يخبرَ بها: ﴿وَقُلْ﴾[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَزَهَقَ﴾ و﴿زَهُوقًا﴾: أصلُ (زَهق) يَدُلُّ على تَقَدُّم ومُضيّ وتَجاوُزٍ[4]، مِنْ ذلك: زَهَقَتْ نفسُه، وهي تَزْهَقُ زُهوقًا، أي: ذَهَبَتْ، وكلُّ شيءٍ هَلَكَ وبَطَلَ؛ فقد زَهَق[5]، وزَهَق الباطلُ؛ إذا غَلَبَهُ الحقُّ[6]، ويُقالُ: زَهَقَ الفَرَسُ أَمامَ الخَيْلِ؛ وذلك إذا سَبَقَها، وتَقَدَّمَها، ومِنَ البابِ الزَّهْقُ، وهو قَعْرُ الشَّيءِ؛ لِأَنَّ الشَّيءَ يُزْهَقُ فيه؛ إذا سَقَطَ،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 389.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 187.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 496.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زهق).
(5) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (زهق).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (زهق).

والزَّهوقُ، وهو البِئْرُ البَعيدَةُ القَعْرِ[1]، والمراد بالزَّهْق والزُّهوق في الآية: الاضمحلالُ بَعْدَ وُجودٍ، والبطلانُ والهلاكُ[2].

2) ﴿ٱلْبَـٰطِلُ﴾: أَصْلُ (بطل) يَدُلُّ على ذَهابِ الشَّيْءِ، وقِلَّةِ مُكْثِه ولُبْثِه، يُقال: بَطَلَ الشَّيءُ؛ إذا ذَهَبَ ضَياعًا وخُسْرانًا، والباطِلُ: اسْمُ فاعِلٍ مِن بَطَلَ الشَّيءُ يَبْطُلُ بُطْلًا وبُطْلانًا، ومَعْناهُ: نَقيضُ الحَقِّ والصِّحَّةِ، والباطِلُ أيضًا: التّالِفُ والضّائِعُ مِنَ الأشْياءِ، وجمعُهُ: بواطِلُ، وقيل: أباطيل، والمرادُ بالباطِلِ في الآية: الشَّيْءُ الَّذي يَذْهَبُ ضَياعًا وخُسْرانًا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وقل - أيُّها الرَّسول ﷺ - لهؤلاء المشركين: جاء الإسلامُ، وتحقَّق ما وعدَ اللّه به مِن نصرِهِ، وذهب الشِّركُ والكفر، إنَّ الباطل ذاهبٌ مُتَلاشٍ لا يثبت أمام الحقِّ[3].

الباطل ذاهبٌ مُتَلاشٍ لا يثبت أمام الحقِّ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصلِ بالواو:

قوله: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾[4]؛ للإيذان باستجابة الدُّعاء في: ﴿أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾، فإنَّ مجيءَ الحقِّ وزهوقَ الباطل هو منَ السُّلطان النَّصير الذي سأله، فالجملةُ تحضيضٌ على إظهار النِّعمةِ والفرحِ بها تحدُّثًا وشُكرًا بعد تحقُّقِها إثْرَ سؤالها والدُّعاءِ بها.

التَّحدُّثُ بالنِّعمة العامَّةِ بعد تمامِها

دلالةُ الأمرِ ﴿وَقُلْ﴾:

الأمرُ في قوله: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ إلزامٌ بِمَقولِه؛ لأنَّه منَ اللّه

العبدُ مأمورٌ بإظهار الحقِّ والاحتفاءِ بتمكينِه

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زهق).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 496.
(3) المختصر في التّفسير، مركز تفسير.
(4) صافي، الجدول: 15/ 98.

سبحانه، فهو واجبُ الامتثال، واجبُ القول به، فضلًا عمّا في الأمرِ بالإخبار بـ ﴿وَقُلْ﴾ من تحقيقٍ للبشرى[1]، وإعلامٍ "بأنَّ الأمرَ تمَّ، والفرجَ جاء، ودُحر الباطلُ، ورجع إلى أصله، وهو العدمُ"[2].

سرُّ التَّعبيرِ عنِ المجيء بالماضي:

الحقُّ لا يُغالَبُ؛ لأنَّه من صفاتِ الله الأزليَّةِ

عبَّر عن المجيءِ بصيغة الماضي لتحقيق الفعل والإخبارِ بانقضائه، وغرضُ التَّحقيق: الإيماءُ إلى أنَّ الحقَّ غالبٌ ظاهرٌ، فلا يُمكن الانقلابُ عليه أو تحييدُه أو إزالتُه؛ لأنَّه قدَرٌ مقدورٌ، وقضاءٌ ثابتٌ.

دلالةُ تعريفِ الحقِّ:

الحقُّ معروفٌ غيرُ منكور، لكنَّ القلوبَ محجوبةٌ!

التَّعريف في لفظ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ للعهد، أي: الدّينُ الخاتمُ المنزَّلُ على رسول الله ﷺ، وهو دينُ الإسلام، ويصحُّ أن تكون للجنس مبالغةً في الكمال؛ لأنَّ دينَ الإسلام مُستوعبٌ لأفراد كمالِ الجنس، جنسِ الحقِّ.

سرُّ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿وَزَهَقَ﴾ مقابلًا للفعل ﴿جَآءَ﴾:

حضورُ الحقِّ بظهورِه، غيَّبَ الباطلَ ودَحَرَهُ

بين قولِه: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾، وقولِه: ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ مقابلةٌ بديعةٌ لشهود الحقِّ - وهو يحضُر، ويَبينُ - وشهودِ الباطل - وهو يأفل، ويتلاشى، ويضمحلُّ - كأنَّ حضورَ الحقِّ بظهوره غيَّبَ الباطلَ، ودَحَرَه، فحلَّ مَحلَّه، وجرى موقِعَه.

(زهوقُ الباطل) بين المجاز العقليّ، والاستعارةِ المكنيَّةِ:

الباطلُ هو فريسةُ الحقِّ المُنْخنِقَةُ به

إسنادُ الزَّهوق إلى الباطل في قوله: ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾، يصحُّ أن يُحمَل على المجاز العقليِّ؛ لأنَّ الباطل لا يزهقُ من تلقاء نفسِه، بل يزهقُ بمدافعة الحقِّ له، بدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: 18]، أي: الحقُّ زاهقٌ للباطل،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 496.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/ 496.

فيزهقُ، ويصحُّ أن يكون في زهوق الباطل استعارةٌ مكنيَّةٌ؛ إذ شبَّه زهوقَ الباطل في ذهابه وزواله بعد وهَجِهِ وحيويَّتِه بانخناق الرّوح وزهوقِها بالموت وذهابِها وزوالِها عن البدن بعد فاعليَّتِها فيه وتحريكِها له، فالباطلُ كذلك مُنْخَنِقٌ وزائلٌ، ولو بعد حين[1].

بلاغةُ الطِّباقِ بين ﴿ٱلْحَقُّ﴾، و﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾:

بين كلمتَي ﴿ٱلْحَقُّ﴾ و﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾ طباقُ إيجابٍ، بالجمع بين الضِّدَّين، بين ﴿ٱلْحَقُّ﴾ و﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾، وبلاغة الطِّباقِ تُظهِر الفجوةَ الوسيعةَ بين ماهية الحقِّ وماهيةِ الباطل، فالحقُّ معروفٌ نورُه، مشهودٌ سُرورُه، والباطلُ مُنكَرٌ ظلامُه مُستبِدَّةٌ آثامُه، حتى إنَّ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في لفظه ومعناه بحبوحةٌ وفُسْحةٌ وإسراعٌ وسهولةٌ، و﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾ في نُطقِه وضِمنِه لَجْلَجَةٌ وعنَتٌ وبُطْءٌ وانحباسٌ.

الحقُّ معروفٌ نورُه مشهودٌ سُرورُه

بلاغةُ توكيدِ الفاصلةِ بـ﴿إِنَّ﴾، والجملةِ الاسميَّةِ، وبفعل الكينونةِ:

جملةُ ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ تذييلٌ مؤكِّدٌ لمضمون السّياق قبلَه، وهو منه في معنى التَّعليل له، ولذلك فُصِلتْ؛ لأنَّ حرفَ التَّوكيد رابطٌ واصلٌ في المعنى أغنَى عن العاطفِ وفاء التَّفريع، واستقلَّ بإفادةِ التَّعليل وربطِ مضمون جملتِه بمضمون الجملة التي قبلَه، والافتتاحُ بـ﴿إِنَّ﴾ لمحضِ الاهتمام والعنايةِ بتقرير الجملة، وكأنَّ الغرضَ بالافتتاح المؤكِّدِ إجراءُ التَّركيب مجرى القانونِ المحدَّدِ والمَثَلِ السّائرِ المحكَم، وقرينةُ خلوِّ المخاطَبين عن التَّردُّد في هذا الخبر تجعلُه مَسوقًا لأجل تأكيدِ انتفاعهم به لا لإثبات أصلِه، فيكونُ خبرًا بمعنى الإنشاء، أي: أكِّدوا انتفاعَكم بمقتضى ذلك بدوامِكم على استقامة الحقِّ وعدم التَّجاوزِ لاعوجاج الباطلِ، أو لأجل أن يَسوقوه إلى غيرِهم بهذا المساق المؤكَّدِ للتَّرهيبِ والتَّرغيبِ، فإنَّ المؤمنَ مُبَلِّغٌ عن ربِّه.

التَّثبيتُ على اليقين يحتاجُ إلى تأكيدٍ وتحقيقٍ

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 573.

بلاغةُ تَكرارِ لفْظِ الباطلِ دون الاستعاضةِ عنه بالضَّميرِ:

الـكـلامُ حين يـجـري مـجـرَى الأمثالِ يخلو مِنَ الإضـمـارِ الـذي يُبْهِمُه

أظْهَر في مقام الإضمار، فلم يقل: (وزهق الباطل إنَّه كان زهوقًا) بالإضمار، بل أعاد ذِكْرَ الباطلِ، لينفصِل هذا التَّركيبُ في نفي الباطل بعمومِه، كأنَّه قال: (وزهقَ الباطلُ الذي تعهدونه معتنقين له من أصناف الشِّرك والضَّلال المعهودةِ لكم)، ذلك أنَّ الباطل بكلِّ أنواعِه أيًّا كان لا يتماسكُ، بل يتلاشى، فعمَّمَ بعدَ تخصيصٍ، ومن معاني الانفصال التي يُقرِّرُها الإظهارُ مقامَ الإضمار: إجراءُ التَّركيب مجرى الأمثالِ السّائرةِ، والكلامُ حين يجري مجرى الأمثالِ لا بدَّ أن يخلو مِنَ الإضمار الذي يُبْهِمُه.

سرُّ التَّعبيرِ بفعلِ الكينونةِ الماضي:

الزَّهوقُ شِنْشِنَةُ الباطل، وشأنُه في كـلِّ زمـانٍ أنَّـه يـظـهـرُ ثم يضمحِلُّ

مجيء فِعل الكون الماضي بين المبتدأ والخبر، يفيدُ تحقيقَ ثبوت النِّسبة بينهما إذًا فتركيبُ: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ أُكِّد بإنَّ، ثمَّ أُكِّد بفعل الكون الماضي بين اسم إنَّ وخبرها، وجملةُ الكوْن ذاتُها ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ فيها إعادةٌ لاسم إنَّ مضمرًا، أي: كان هو زهوقًا، وهذا تأكيدٌ ثالثٌ، وهو من مُستتبعات إقحام فعلِ الكون، ثمَّ تأكيدٌ رابعٌ، وهو مجيءُ فعل الكون ماضيًا يفيدُ التَّحقيقَ الزَّمنيَّ القديمَ منذ أنْ كان الباطلُ؛ ليفيد دلالةَ أنَّه كان زهوقًا في نفسه بجبلَّتِه وطبعِه، قضاءً قضاه الله تعالى مِنَ الأزل[1]، فـ"الزَّهوقُ شِنْشِنةُ الباطلِ، وشأنُه في كلِّ زمانٍ أنَّه يظهَرُ، ثمَّ يضْمحِلُّ"[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ﴿زَهُوقًا﴾:

الباطلُ زهوقٌ في نفسِه، وزهـوقٌ لـغـيره، فـهـو زاهِقٌ ومزهوقٌ

لفظُ ﴿زَهُوقًا﴾ – في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ – صفةٌ مشبَّهةٌ مِنَ الثُّلاثيِّ (زَهَقَ) (يزهَقُ) بابِ (فتَح) بمعنى: اضمحلَّ وزالَ، ويجوز أن يكون صيغةَ مبالغةٍ مِن اسم الفاعل[3]، أو اسمِ المفعول

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 496.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 188.
(3) صافي، الجدول: 15/ 99.

(زاهِق ومزهوق)؛ لكونه من أسبابِ التَّدمير والإفسادِ، فهو زاهِقٌ لمنتَحِليه، ولكونِه يتلاشى بحضور الحقِّ، فهو مزهوقٌ به، وزنُه (فَعول)، ومعنى الصِّفةِ المشبَّهةِ إفادةُ الدَّيمومة، أي: دائمُ الزَّهوق، ومعنى المبالغةِ إفادةُ الكثرة، أي: كثيرُ الزَّهوق.

فنُّ التَّذييلِ في الآية وبلاغتُه:

الـخـتـمُ على الـكـلام بـما يُـؤيِّـدُ مضمونَه ويُلخِّصُ غرَضَه

هذا الفنُّ هو: أن يذيِّلَ النّاظمُ والنّاثرُ كلامَه، بعد تمامه وحسْنِ السُّكوت عليه، بجملةٍ تُحقِّقُ ما قبلها مِنَ الكلام، وتزيدُه توكيدًا، وتجري فيه مجرَى المثلِ، لزيادة التَّحقيق، وهذه الآية من أعظم الشَّواهد عليه، فالجملة الأخيرةُ ﴿إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ هي التَّذييلُ الذي خرج مخرجَ المثلِ السّائرِ[1].

بلاغةُ التَّذييلِ في جملةِ الفاصلةِ:

الـبـاطـلُ عـرَضٌ زائلٌ، والحقيقةُ جوهرٌ خالِدٌ

ولم يختمِ الفاصلةَ في السّياق الكريم بالتَّذييل عنِ الحقِّ، فلم يقل: (جاء الحقُّ، وزهق الباطل، إنَّ الحقَّ كان ظاهرًا أو غالبًا)، بل ختم بذِكْر الباطل: ﴿إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾؛ ليدلَّ بمفهومه على ثبوت الحقِّ، ولذا نسَبَ المجيء إليه، كأنَّه أمرٌ ذاتيٌّ فيه، فلم يأْتِ به أحدٌ[2]، وبمنطوقه على طروء الباطلِ، وأنَّه أجنبيٌّ على الحقِّ، والأجنبيُّ لا يستقرُّ، ولا يستمرُّ، وليدفعَ عادةَ النّاس في اغترارهم بالباطل وانجذابِهم إليه لِتَمَوُّهِه عليهم وتزيُّنِه لهم، وهذا التَّمَوُّه هو مظنَّةُ الرُّكون إليه والاطمئنانِ به، فختَمَ بذِكْر ما هم أحوجُ إلى التَّحذير منه والفصلِ في شأنه، والتَّعريفُ بالشَّرِّ مُقدَّمٌ؛ ولذا جعل الفاصلةَ فيه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الزّهوق والزّوال:

أصلُ (زهق): خروجُ الشَّيء وانفصالُه عن كامِلِ المحلِّ الذي كان

(1) صافي، الجدول: 15/ 100.

(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 14/ 8708.

الزَّهوقُ يتعلَّقُ بـزوال الـشَّيء مـن أصـلِـه وقـعـرِه، فلا يقبلُ التَّقويمَ أوِ التَّدارُكَ

فيه، أو تعلَّقَ به، فهو خروجٌ عن أصلِ الشَّيء في الباطن والظّاهر، ولذا ارتبط هذا اللَّفظ بالرّوح، فقيل: زهقَتْ روحُه أو نفسُه؛ لأنَّها خرجَتْ من قعرِ جوهرِه، وغادرتْ باطنَه إلى ظاهِره، فانقطع أثرُها بالكلّيَّةِ عنه[1].

وأصل (زال) تنحّي الشَّيءِ عن ثباتِه، وخروجُه عن موضعه، ومنه زال مُلْكُه عنه: إذا فارقه، فخرج عن محلِّه الثّابت[2]، والفرقُ بين الزَّهوقِ والزَّوالِ: أنَّ الزَّهوقَ يتعلَّق بزوال الشَّيء من أصله وقعرِه، فلا يقبلُ التَّقويمَ أوِ التَّدارُك، ولذا فهو يعبِّرُ عنِ الاستئصال التّامِّ، وأمّا الزَّوال؛ فهو مجرَّدُ انتقالٍ عنِ المحلِّ، سواءٌ كان كلّيًا أم جزئيًّا، وسواء صحَّ معه أن يعود كما كان أم لا، ولذا عبَّر في الآية بزهوق الباطلِ، ليدلَّ على زوال أصلِه وانقطاعِ أثرِه بالكلّيَّة، وأمّا الزَّوالُ؛ فلا يلزمُ عنه انقطاعُ الأثر، أو عدمُ إمكان العودة للمحلِّ المستقِرِّ، وإيثارُ لفظِ (الزَّهوق) يناسبُ دحْرَ الباطل والرُّجوع إلى أصله، وهو العدمُ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (زهق).

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زول)، والرّاغب، المفردات: (زال)، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (زول).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»